الباب الأول

شعائر العبادة وآداب الأخلاق

- شعائر العبادة .
- الأخلاق فى ادب القرآن .
- تصحيح مفاهيم .
- اخطاء مشهورة وتصحيحها

الفصل الأول

- رمضان شهر الروح والايمان
- الصوم وحدة للقلوب والمشاعر
- مبادىء انسانية من الصوم
- الصوم كفاح وصبر
- المجتمع الصائم ذو انسجام وارادة
- اثر الصوم فى حياة الصائم
- شبهات حول الصيام
- ماذا بعد رمضان
- شهر الحج
- الحج وحدة فى المشاعر والآمال

رمضان شهر الروح والإيمـــان

يقول الله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقَانِ ، فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ »(١) فأخبر جل شأنه عن رمضان بأنه الوقت الذى أنزل فيه القرآن لهداية الناس ، وذكر أنه يجب على المؤمن صوم هذا الشهر إن شهد رؤيته ، أى حضر قدومه والتقى به فى حياته . ورمضان ـ بذلك ـ شهر ارتبط به أمران فى حياة المسلمين : ارتبطت به ذكرى نزول الوحى بالقرآن ، وارتبطت به أيضاً فريضة صومه .

وذكرى نزول الوحى بالقرآن يجب ألا تمر مروراً عابراً فى حياة المسلمين ، يقفون عندها طويلا أو قصيراً ، ويتلون فيها قصة الوحى وما كان من شأن نزول الآيات القرآنية : على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشأن اقراء جبريل عليه السلام به . وإنما هى ذكرى يجب أن تعيد إلى قلوب المسلمين الصورة القوية الواضحة للإيمان بالله ، تلك الصورة التى تمثلت فى حياة المسلمين الأول . إذ عن طريق هذا الإيمان القوى بالله تعود النفس إلى طمأنينتها وتعود الروح إلى صفائها .

وفريضة صوم الشهر — التى ارتبطت برمضان على نحو ما تحدثت الآية القرآنية الكريمة — هى أيضاً ليست رسماً من رسوم العبادة ، يؤدى دون أن يترك أثره فى النفس ، أو يكون تعبيراً عما تمتلىء به نفس الصائم من إيمان بالله الذى فرض وحده الصوم ، ويراقب وحده الصائم . لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

رمضان — كما يحدثنا المولى سبحانه هنا — هو شهر الروح والإيمان . شهر الروح ، لأن القرآن الذى ارتبط نزوله بوقته مصدر تزكية النفوس وصفائها . « قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ... »(٢) وتزكية النفوس

---

(١) سورة البقرة ١٨٥

(٢) الأعلى ١٤ ، ١٥ .

لا تكون بتلاوة القرآن دون الهداية العملية بما فيه من وصايا وأوامر ونواه . ولهذا اقترن فى هذه الآية — « وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » — ذكر الله بأداء عبادة الصلاة ، كدليل على أن القرآن كتاب تلاوة وهداية عملية معاً .

وهو شهر الإيمان ، لأن أداء فريضة الصوم فيه آية على أن الصائم الذى أمسك فمه عن الأكل والشرب ولغو الحديث ، وأمسك لسانه ، عن الوشاية وإطلاق الشائعات والأراجيف ، وأمسك يده عن الإيذاء والعبث ، وأمسك قدميه عن السعى فى سبيل الإفساد ، وأمسك قلبه عن الحقد وسوء النية ، وعن التردد فى عون المهموم والمكروب — هو ذلك المؤمن الذى لم يضعف إيمانه بالله ولم تضعف علاقته بتعاليم الإسلام .

رمضان شهر الإيمان . لأن الصائم لا تُرى عبادة صومه لغير الله ، وليس له من رقيب سوى نفسه وسوى الله . هو إذن مؤمن ، أخلص فى إيمانه وفى عبادته . ولذا يروى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » .

إذا أقبل علينا رمضان وشهدنا شهره ، وجب علينا صومه ، وعندما تحل ذكراه فلنتذكره بما وقع فيه . فهل نريدها ذكرى تمر فى حياتنا دون أن تمس قلوبنا ونفوسنا ؟ هل نريدها ذكرى تمر فى حياتنا دون أن نعبر فيها عن إيماننا القوى ؟ أى حياة إنسانية تلك التى تنقضى دون أن يكون هدفها صفاء النفس ؟ وأى حياة إنسان تلك التى تمضى دون أن يكون فيها إيمان بالله ؟

إن النفس ستشقى إذا قلقت ، مهما كان لها من جاه ومهما ملكت من مال وسلطان ، ومهما اعتزت بالبنين والبنات . وإن النفس ستشعر بالفراغ إن هى لم تركن إلى الإيمان بالله ، مهما كثر عملها ونشط سعيها ، إذ أى شىء قاتل للنفس وراء القلق ؟ وأى شىء عمل للنفس بعد شعور الفراغ فى حياتها ؟

يروى أبو أمامة رضى الله عنه : « قلت يارسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله

به ! قال : عليك بالصيام فانه لا مثيل له » . أى لا نظير له فى صحة الجسم ، وكسر النفس . وعظيم الأجر ، وصفاء القلب ، والقرب من الله . ومحل الصيام المفروض ووقته : هو رمضان .

سوف تتعلل النفس فى رمضان — والنفس أمارة بالسوء — بتعللات كثيرة كى تنفك من صومه : مرة بها حس المرض ، وأخرى بتوهم أن الصوم مضعف للجسم أو مقلل لإنتاجه وعمله ، وثالثة بأنه يحد من حرية الإنسان فيما يفعل ويتصرف ، ورابعة بأن ذلك تقليد قد مضى زمنه ولم يصلح لحياتنا الحديثة ... وغير ذلك من التعللات والمبررات .

ولكن الإنسان هو الإنسان يشتد ميله إلى ما يضره عادة ، وتكثر حيله وأعذاره فيما يورده موارد الهلاك . إن الله الذى فرض العبادة وحدد رمضان لفريضة الصوم ونزول القرآن الكريم ، لم يفرض ما فرض ويحدد ماحدد إلا لنفع الإنسان ومصلحته . ومصلحة الإنسان هى دائماً فى أن يكون قوياً ويبقى قوياً : ليس قوياً فى عضلاته ، وإنما يكون قوياً فى عزمه ، قوياً فى روحه ، قوياً فى إيمانه ، قوياً يتغلب على الأحداث دون أن تنال منه . قوياً على الأزمات دون أن تيئسه من الحياة . أو تجعل حياته سلسلة من القلق والهموم .

وصوم رمضان كل عام ، والعمل دائماً بهداية الله التى نزل بها الوحى فيه — كفيل بأن يخلق ذلك الإنسان القوى الذى يسيطر على الأحداث والأزمات .

إن وضع الإنسان فى الحياة عادة هو وضع المتردد بين الضعف والقوة . وأخطر صور الضعف ذل الإنسان لشهوته ووهمه . وأبلغ صور القوة قوة الإيمان بالله . والتعس فى الحياة هو القلق فيها بسبب ضعفه . والسعيد فى الحياة هو المطمئن بسبب صفاء روحه وقوة إيمانه . ورمضان هو شهر صفاء الروح وتجديد قوة الإيمان .

الصوم وحدة للقلوب والمشاعر

١ – يقول الله تعالى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الذى أُنزِلَ فيهِ القُرْآن هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ (١) » .

ويعلن بذلك جل شأنه : أن هذا الشهر هو ذلك الوقت الذى أنزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الدعوة إلى الإيمان بالله ، وكتاب الهدى للناس كافة ، وكتاب الصراط المستقيم لسلوك الإنسان فى حياته وفى علاقته بإنسان آخر معه فى الوجود .

وقد قامت أمة المسلمين على أساس هذا الكتاب ، وعلى دعوته ، وعلى هدايته ، وارتبط كل فرد فيها بما فى ذلك الكتاب من إيمان وهداية . وانتقل هذا الارتباط إلى خلفاء المسلمين الأول جيلا بعد جيل ، إلى يومنا هذا .. وبعد يومنا هذا ، إن شاء الله .

فإذا قدم شهر رمضان من كل عام ، قدم ومعه الذكرى بنزول هذا القرآن ، وما كان من شأنه فى أن قامت على أساسه أمة ، وارتبط بما فيه من إيمان وهداية : أفراد هذه الأمة .

٢ – وإذا يقول الله سبحانه بعد ذلك : « فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » وفرض بهذه الآية صوم رمضان – فإن رمضان عندئذ إذا ما أقبل يحصل معه وجوب صومه ، كما حصل معه من قبل : ذكرى نزول القرآن الذى تكونت على أساسه أمة المسلمين .

وكلما أقبل هذا الشهر مرة ، وأدى المسلمون فيه فريضة صومه ، أعلنوا

---

(١) البقرة ١٨٥ .

بأداء هذا الصوم : أن قلوبهم تنطوى على إيمان واحد ، هو الإيمان بالله وحده وبكتابه الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهداية هذا الكتاب الذى وضح معالم الحق بحيث لا يشتبه به باطل ، ثم فى الوقت نفسه عبروا عن مشاركة فى مشاعرهم ، وعواطفهم وأحاسيسهم . وبذلك تلتقى قلوبهم مع مشاعرهم بصوم هذا الشهر المبارك .

الصوم تدريب وتهذيب :

وصوم رمضان إذن لا ينطوى فحسب على مشاركة المسلمين بعضهم بعضاً فى أداء عبادة فرضها الله عليهم ، ولا على إحياء ذكريات فى نفوسهم تتصل بالقرآن الكريم وأثره فى قيام أمتهم ومجتمعهم ، وأثره كذلك فى تميز هذه الأمة وهذا المجتمع عن بقية الأمم والمجتمعات . وإنما ينطوى مع هذا وذاك على أنهم لا يتخلفون عن تلبية النداء ، الذى يوجهه إليهم إيمانهم بالله ورسالته التى سماها الإسلام .

ينطوى صوم رمضان على أن المسلمين إذا ما قاموا بأدائه يلتقى بعضهم مع بعض ، فى الشعور بتلك الآثار التى يخلفها الصوم فى نفوسهم . وهى آثار من شأنها أن تعد هذه النفوس للقاء ما تفرضه الحياة عليهم أحياناً من حرمان ، أو تحدثه فى وقت من الأوقات من أزمات . كما من شأن هذه الآثار أيضاً أن تهيء هذه النفوس الصائمة لإقبال الغنى منهم على المحروم فيهم ، وإقبال صاحب الصحة منهم على المريض بينهم . وبذلك يكون التعاطف والتواد .

والأمة — كأمة — فى حاجة إلى أن يلتقى أفرادها بعضهم ببعض فى النفوس والقلوب ، وأداء الواجبات .

إن هذا ما يجب أن تحدثه فريضة الصوم إذا أديت . فإن لها أكثر من

معنى وأكثر من هدف ، ولذا ينبغى أن لا تخرج عن وظيفتها . ينبغى أن لا يكون أداؤها سبباً فى نفرة الأفراد بعضهم من بعض . ينبغى أن لا يكون الصوم سبباً فى الاحتكاك ، أو سبباً فى إهمال العمل الذى يجب أن يؤدى أو يؤجر عليه ، أو سبباً فى التراخى فيه فى صورة ما . يجب أن لا يكون الصوم شعاراً يستتر وراءه من يسىء المعاملة لغيره ، أو يتستر وراءه العامل والأجير ويتخذ منه مبرراً يدفع به تهمة الإهمال أو التراخى فيما يوكل إليه من عمل .

يجب أن يحتفظ الصائم بأهداف فريضة الصوم . ومن بين هذه الأهداف وحدة القلوب ووحدة المشاعر . واتخاذ الصوم مبرراً للنزاع أو الاحتكاك ، أو مبرراً للإهمال أو التراخى ، من شأنه أن يبعد القلوب عن أن تتلاقى ، و بعد المشاعر والعواطف عن أن تتجاوب .

ومن يؤدى فريضة يجب أن يؤديها لصالح نفسه ، ولصالح أمته وجماعته . أما لصالح نفسه ، فليس فقط لأنه سوف يمر بامتحان قد تفرضه عليه ظروف الحياة يوماً ، دون أن تنال من نفسه ومن معنويته هذه الظروف . وهو امتحان الحرمان ومجاهدة النفس فى التغلب عليه . ولكن بجانب ذلك سيرجع إلى نفسه فيذكر أنه عضو فى جماعة وأمة لها إمامة ، ولها رسالة فى الحياة يمارس شعائر عبادتها ، ويسعى إلى أن يتبادل خلجات القلب وعواطف النفس مع كل فرد فيها . وأما إنه لصالح الجماعة : فالجماعة التى يتجاوب أفرادها قلوباً ونفوساً ، وإيماناً وعواطف هى الجماعة القوية المتماسكة .

واجبنا فى شهر رمضان أن يتذكر كل واحد من أفراد هذه الأمة المسلمة أنه عضو فيها ، وليتذكر أن شعار الإسلام هو أن يكون مؤدياً لفرائض دينه . وفى مقدمة هذه الفرائض : الصوم . وليراجع كل واحد منا فى يومه هذا ما يتردد فى نفسه من عوامل الإقدام على الصوم وعوامل الإحجام عنه . وسيعلم بعد هذه

المراجعة : أن عوامل الإحجام عن الصوم ترجع إلى ضعف العزيمة ، وسيطرة إغراء الشهوة على النفس . وليس بإنسان ناجح فى الحياة — ذكراً أو أنثى — من تهن عزيمته أمام الإمساك عما يشتهى فترة من الوقت . وليست هذه أمة تقف فى وجه الشدائد والأزمات ، تلك التى يضعف أفرادها أمام ما يغرى النفس من مأكل أو مشرب ، بياض نهار .

نريد أن يكون كل فرد فى هذه الأمة سيداً على نفسه وشهوته ، وأن تكون الأمة كلها ذات سيادة على الشدائد والأزمات . والصوم هو الوسيلة الأولى لتلك السيادة المنشودة .

مبادىء إنسانية من الصوم

يروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: « **كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل الا الصوم . فانه لى وانا اجزى به ؛ يدع شهوته وطعامه من اجلى** » فالصائم يترك شهوته ، وبالأخص طعامه ، فى فترة محددة من اليوم ، وفى أيام معدودات متتالية ، ويترك ذلك فى سبيل الله ومن أجل الله . يترك مطلوباً لجسمه، فى سبيل تزكية نفسه وقلبه . لأن سبيل الله وما يريده الله هو ما يوصل إلى طهارة النفس ، وصفاء القلب : طهارة النفس مما يؤذيها من بواعث الشر والفتنة ، وصفاء القلب : مما يكدره من سوء الاعتقاد وضعف الإيمان .

الصيام انتصار على شهوات النفس

والصائم مكافح : يكافح هوى وشهوة لينصر إيمان النفس بالله . يكافح الإلف والعادة فى حياته اليومية لينصر إرادة ، وليوقظ ضميراً . وإن الصائم إذ يكافح الهوى والشهوة فى وقت معين ، وعلى نحو خاص يكافح قوة لها أثرها العنيف على الإنسان نفسه .. يكافح رغبات جسمه ومطالب بدنه .. يكافح استسلاماً لهذه الرغبات والمطالب كى ينجح فى أن يكون صاحب الأمر عليها ، بدلا من أن يكون مستسلماً ذليلا لها .

إن وضع الصائم وضع شاق : تدعوه شهوته ، ويدعوه الله عز وجل شأنه . تدعوه شهوته لأن يلبى نداءها ، ويدعوه الله إلى أن يكف عن ندائها ليحقق لنفسه مثل الإنسان المؤمن المريد . فإذا أطاع الله وكف عن نداء شهوة الجسم ،

وترك شهوته وطعامه من أجل الله : كان عندئذ خليقاً باختصاص الله إياه فى مثوبته وفى جزائه ، وفى تقدير ما يجازى به على هذا العمل الشاق الذى انتصر فيه إلى جانب الله سبحانه وتعالى .

وفى عدم تحديد جزاء الصائم فى هذا الحديث الشريف من جانب الله تعالى ، على نحو ما ذكر قبل من مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف : يدل على أن منزلة الصوم بين الأعمال الطيبة التى يقوم بها الإنسان تعظم عن التحديد والتقدير عند الله جل شأنه . وإنما تعظيم منزلته بهذه الصورة لأنه يكاد يكون العبادة الوحيدة التى يبرز فيها الصراع والكفاح من الإنسان لشىء يتعلق بذات الإنسان ، دون عرض من أعراضها التى تتصل بها .

فالصلاة تقوم على تخلية الإنسان نفسه من الدنيا حين التوجه إلى الله ، وحين الإعلان عن هذا التوجه يقول المصلى : « الله أكبر » .

والزكاة تنازل عن جزء من المال الذى ملكه أو اقتناه ، وهو تنازل عن عرض لحق ذاته ، ولم يكن من صميم الذات نفسها .

والحج . ما فيه من مشقة لايتجاوز مشقة السفر ، وما فيه من إنفاق لايتجاوز عرض المال التابع .

أما الصوم فإنه كفاح موجه من الذات ضد الذات .. كفاح موجه من نفس الإنسان ضد رغبات جسمه وبدنه . ومن هنا نفهم ما يروى عن الرسول من قوله: **« قال الله عز وجل الا الصوم ؛ فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجل »** :

الصوم يعلم الصبر ويخلق الامل :

والصوم إذن كفاح وجهاد شاق ، لأنه من الإنسان لذات الإنسان . ولكن أيحتاج الإنسان إلى هذا الكفاح فى حياته مرة كل عام ؟. يقول ابن ماجه

إن « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » . ولكن أيضاً فيم حاجة الإنسان إلى الصبر ؟. إن الإنسان لايعيش وحده فى مجال هذه الحياة . إنه يعيش مع آخرين . إنه ينافس آخرين . إن له آمالا . إن عليه واجب رد الاعتداء عليه من غيره . إن عليه أن يكظم غيظه فى وقت تطلب الحكمة منه أن يكظم هذا الغيظ . إن عليه أن يسعى فى سبيل عيشه وعيش أهله ، وقد يخفق فى سعيه مرة أو مرات . هذا هو طابع الحياة التى يعيش فيها الإنسان . لذا كان لابد له من أن يتعلم الصبر ، حتى يحقق مايؤمل ، أو يدفع مايوجه إليه من اعتداء . لابد له من أن يتعلم الصبر حتى يثابر فى سعيه فى سبيل عيشه ، حتى لايأس عندما يخيب مسعاه أو يخفق فى أمله .

وليس هناك وسيلة مجدية لتعلم الصبر إلا امتحان الإنسان لنفسه ، ورقابته على ما يمتحن به نفسه ، دون سواه . والصوم هو مجال هذا الامتحان ، وهذه الرقابة الذاتية . ليس هناك فى الصوم من ممتحن إلا الإنسان نفسه ، وليس هناك من رقيب إلا ذات الإنسان على الإنسان .

* * *

والصوم مطلوب للإنسان كإنسان ، ومطلوب للبشرية كلها . وإنه كفاح فى سبيل إعداد الإنسان للحياة الإنسانية . إنه السبيل لسيطرة الإنسان على نفسه .. السبيل إلى إيقاظ الضمير فى الإنسان ليراقب أعمال الإنسان .. السبيل إلى الصبر .. السبيل إلى التمسك بالأمل .. السبيل إلى تجنب اليأس عند الخيبة والإخفاق .

يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة ؛ وغلقت ابواب النار ؛ وصفدت الشياطين** » فربط عليه الصلاة والسلام فتح أبواب الجنة ، وغلق أبواب النار ، وتقييد الشياطين عن العمل ، بمجيء رمضان ، شهر الصوم — إيماء بأن صوم رمضان

على الوجه المطلوب فى الصوم ، والغاية المرجوة من صيامه ، من شأنه أن لايترك ثغرة فى حياة الصائم تتسرب منها الهزيمة لنفس الإنسان ، وإيمانه ، وقلبه . لأن الصائم على الحقيقة قد ملك ناصية الأمر على النفس الأمارة بالسوء . وهى ما يتصل بمطالب بدنه . وعندئذ لا مكان لإثم فى عمل يدعو إلى البر ويمنع صاحبه من النار ، فأبوابها إذن مغلقة ، ولا مكان لعمل الشيطان لأن عمله إنما يكون عندما تسود النفس الأمارة بالسوء وهى الآن مسودة لا سائدة . فالشيطان إذن مقيد عن العمل ، وإذن لم يبق إلا أن تكون أبواب الجنة مفتحة لأن عمل الصائم عندئذ يصدر عن قلب وعن إيمان ، لا عن شهوة واستسلام للهوى .

الصوم عبادة إصلاح للروح والبدن ، وعبادة تعد الإنسان لحياة الخير ، لخير الإنسان نفسه وخير جماعته .

الصوم : كفاح وصبر

أود أن لا أتجاوز واقع الأمر المحسوس ، وأريد أن نقف جميعاً أمام أمثلة واضحة فى حياتنا اليومية : كل منا له أسرة ، أو شاهد لأحوال أسرة . وكل منا رأى الولد المدلل فيها ، ووقف على خطوات سيره فى حياته ، وعلى موقف الوالدين من هذا الولد المدلل :

أما خطوات سيره فى الحياة فهى رغبات متزايدة ، لا تلبى رغبة منها إلا تلحق بها أخرى ، مع إصرار فى تحقيقها وإلحاح فى الإسراع بإنجازها . وكثير من هذه الرغبات ينطوى تحقيقه على ضرر بين يصيب هذا الولد المدلل : سواء بالنسبة لصحته ، أو بالنسبة لتوجيهه .

وأما موقف الوالدين من ولدهم المدلل فهو طاعة لما يشاء ، وعمل على إنجاز ما يرغب ، أو اعتذار عند العجز ووعد مؤكد لتحقيق مشيئته فى غد أو بعد غد .

وأما نتيجة دلال الولد واندفاع الوالدين فى تحقيق رغباته المتلاحقة فهى : عدم نجاح الولد فى حياته ، وحسرة الوالدين على خيبة أملهم فيه : لا ينجح المدلل فى الحياة لأنه لم يعرف من الحياة إلا ما حلا له ، وهو ما رغب فى تحقيقه وسعى لدى والديه فى إنجازه . وحلو الحياة فى واقع أمرها أقل بكثير مما هو مر المذاق فيها . لا ينجح المدلل أيضاً فى الحياة لأنه لم يتدرب على ارتكاب الصعب فيها ، واجتياز مشاقها . وصعابها ومشاقها لا تعد ولا تحصى .

وإذا لم ينجح الولد المدلل فى الحياة ففجيعة الوالدين فيه نتيجة طبيعية لخيبته وعدم استطاعته ملاحقة السير لزملائه وإخوانه فى الحياة .

ولذا تسوء عاقبة أمره ، وأسرته تنكب فى أعز موجود لديها . تلك نهاية قصة الولد المدلل ، واندفاع أهله فى تدليله .

الولد المدلل ، هو ذلك الإنسان الذى رغب عن الصوم لما فيه من المشقة ومجاهدة النفس حول نوازعها ورغباتها . والأسرة التى تكبت فى ولدها المدلل هى جناة ذلك الإنسان الذى ألف الاسترسال فى رغباته ومتابعة شهواته ، ولم يحاول بالصوم أن يعود نفسه على مر الحياة ، كما تعود حلوها ، وأن يتحمل ألم الحرمان كما تمتع بالحصول على ما طلبه فى سرعة وفى يسر .

الصوم تربية وتوجيه :

والصوم لم يفرضه الله سبحانه وتعالى إلا ليخرج الإنسان من دائرة الطفولة إلى دائرة الرشد الإنسانى . الصوم وسيلة لا غنى عنها فى إعداد الإنسان لحمل رسالة الحياة ، والظفر فى النهاية بتأديتها أداء كاملا تستريح إليه النفس وتسعد به .

فهو ضرب من ضروب التوجيه الإنسان : فيه قسوة ، ولكنه منطو على نفع محقق لمن يأتى به . لا أقول : إن الحياة كلها تعب كما ينظر إليها بعض المتشائمين . ولكنى أقول : فيها كثير مما يشق على النفس تحصيله ، أو فيها كثير من الصعاب والمخاطر تضطر النفس إلى مقاومتها والتغلب عليها ، وهى إذ تضطر إلى ذلك تضطر بدافع من الوجود الخاص بها ، أو بدافع من الظروف التى تحيط بجماعتها وأمتها .

إن الأزمات التى تصادف الإنسان هى من واقع الحياة ، وليست صوراً متخيلة. ولذا من ضرورة حياة الإنسان أن يلقى أزمات . فإذا لم يدرب نفسه على تحمل الصعاب لا يستطيع أن يتغلب على ما يصادفه من أزمات . وهو لا يتعود على تحمل الصعاب إلا إذا مرنت نفسه على ألم الحرمان . وأوضح صور الحرمان تلك التى يحول فيها الإنسان بنفسه بين نفسه وبين ما تشتهى : فهو يملك أن يلبى رغبته، ويستطيع أن يجيب نفسه إلى ما تطلب ، ولكنه لا يفعل . هذه الصورة من الحرمان هى الصوم الذى فرضه الله سبحانه وتعالى على الإنسان .

وإذن لم يفرض الله تعالى الصوم على الإنسان عقوبة له ، بل كلف به القادر عليه من عباده ، توجيها له فى حياته ، وتبصيراً له بواقع الأمر فيها ، حتى تكون خطواته فى طوافها خطوات المتثبت العارف بدروبها وغاباتها .

إن الذى لا يتوقع الأزمات فى حياته إما طفل يعيش فى عالم الرغبات ، أو إنسان يشبه الطفل فى إدراكه وتصوره . وكلاهما يصير حتماً إلى نهاية واحدة إذا لم يتعلم من تجارب الواقع: هذه النهاية هى الخيبة والفشل ، أو الضعف والاستكانة. وما عاش إنسان مستكين ضعيف .

والحديث عن الجماعة والأمة هو الحديث بعينه عن الأسرة : فالجماعة التى قام أفرادها بفريضة الصوم جماعة التزمت التوجيه السليم فى الحياة ، وتوسلت بوسيلة النجاح فى التغلب على صعابها ومشاقها . والجماعة التى استخف أفرادها بهذه الفريضة، عاقبة أمرها الفشل والضعف .

أى صوم هذا الذى نؤديه فى هذا الشهر المبارك ولا نستطيع أن نتحمل فقدان سلعة من السلع فى حياتنا اليومية ؟

وأى صوم هذا الذى نتقرب به إلى الله جلت قدرته فى هذا الشهر الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ولا نستطيع أن نكف عن لغو القول فى تافة الأمور ، مما يقع ويحدث فى حياتنا العادية ؟

وأى صوم هذا الذى يباهى به الممسك عن الطعام والشراب ، وهو لا يستطيع أن يعطى غيره بعض ما أمسك عنه ، أو يقنع ببعض ما يستطيع الحصول عليه لشهوة بطنه ؟

ولا أعدو الصواب إذا ذكرت : أن الصوم هو الأساس النفسى لإخراج الزكاة عن رضا وطواعية ، وإنه الأساس كذلك للجهاد فى سبيل الله ، والقيام به عن محبة ورغبة .

المجتمع الصائم

مجتمع يمتثل : ولا يستسلم

١ — يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم — أنه يقول : قال الله تعالى « كل عمل ابن ادم له ، الا الصوم فانه لى وانا اجزى به » وذلك بنسبته وحده من بين العبادات إلى الله تعالى . والحديث هنا يضع الصوم موضع العبادة الخالصة لله ، ويزيد فى قيمته عند الله ، كى يدفع المؤمنين على تقبل أدائه فى رضا نفس ، واطمئنان بال . ، فالصوم عبادة مفروضة كبقية العبادات ، وشأنه شأن الصلاة والزكاة والحج . وهى كلها عبادات قصد من مباشرتها : تزكية النفس واستقامتها فى السلوك وتآخيها مع الغير . وتزكية النفس واستقامتها ،وحسن صلاتها بالغير : فوائد تعود أولاً وبالذات على النفس التى تزكت وتطهرت واستقامت وحسنت صلاتها بالغير .

والإسلام ، بهذا الحديث إذن، حرص على أن يؤدى المؤمن المكلف فريضة الصيام فى غير تبرم ولا قلق نفسى ، لأنها عبادة خالصة لله .

ثم فى التعبير هنا فى هذا الحديث عن الصيام بأنه لله — ما يفيد أيضاً : أنه على المؤمن المكلف أن يقوم بفريضة الصوم ، دون أن يسأل نفسه عن أسباب فريضته ، وعن غايات ما يرجى منه . عليه أن يؤديه لأنه واجب عليه أن يؤديه . عليه أن يعبد به الله . هو عبادة تؤدى دون أن تناقش ، وتطاع دون أن يخالج النفس فى شأنها أمر آخر سوى الطاعة والامتثال المطلق لله تعالى .

وأثر الصوم فى صحته ، أو فى إرادته ، أو فى صلاته بغيره من العطف على المحروم وصاحب الحاجة ، أو فى تزكية النفس وصفائها — كل ذلك يتلمسه الإنسان فى الصوم وراء ما فيه من معنى العبادة والامتثال المطلق . والدفع الذى يدفع

الإنسان لأداء الصوم يجب أن يكون هو معنى كونه عبادة لا غير ذلك مما يتلمسه الإنسان من فوائد فيه .

والمجتمع الصائم هو مجتمع يمتثل لله ، ويمتثل لرسالته وهدايته . ويمتثل لإشاعة السلام ، والعدل ، والأخوة والتعاون . هو مجتمع يمتثل فيدع نفسه تنقاد إلى مستوى أرفع فى الإنسانية . وهو المستوى المهذب المصقول . هو مجتمع يمتثل لصفاء النفس وسيادة الصفاء والطهر فيها على الحقد والإيذاء .

٢ — ومع أن المجتمع الصائم مجتمع يمتثل لله ولرسالته فى الأرض : هو مجتمع لا يستسلم للبغى والعدوان . إذ الإنسان الصائم فى هذا المجتمع لا يستسلم لبغى النفس على نفسها ، ولا لبغى الغير عليها . فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « **الصوم جنة ؛ والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار** » فالصائم — كما يشير هذا الحديث — يدفع بصومه عوامل الاعتداء والقهر ، وهى العوامل التى تجعله فى تصرفه أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان . وإذا مال الإنسان إلى مظهر الحيوانية فى التصرف فقد استسلم إلى قوة البغى عليه كإنسان . والصائم إذن إنسان صلب يؤثر انسانيته على ما فيه من حيوانية . وبذلك يدفع بصومه قوة اعتداء نفسه على نفسه .

هو لا يستسلم أيضاً لبغى الغير واعتدائه على نفسه . لأنه إذا لم يقبل اعتداء نفسه على نفسه فهو لا يقبل اعتداء غيره عليه ، لا يقبل أن يعتدى الغير إذن على إنسانيته وعلى وجوده كإنسان . هو إنسان مكرم فى أصل طبعه ، ومطلوب منه عن طريق الرسالة الإلهية أن يبقى مكرماً ويصون كرامة نفسه . والله تعالى إذ يقول: « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ » — كرمه بإعداد طبيعته على نحو يسود بها غيره من الكائنات . ومن جوانب هذه السيادة التى أعدها فيه أن جعل فيه الشعور لمقاومة الاعتداء عليه كإنسان ، أيا كان مصدر هذا الاعتداء : نفسه أو غيره .

نعم الحيوان يقاوم ولكنه يقاوم من أجل حيوانيته . أما مقاومة الإنسان للاعتداء عليه فليست من أجل الحيوانية فيه ، وإنما لحساب كرامة الإنسانية عنده.

والمجتمع الصائم — وهو الذى يؤدى أفراده عبادة الصوم — مجتمع من غاياته إذن : عدم الاستسلام .. من غاياته مقاومة الاعتداء .. من غاياته أنه يدفع الهزيمة لعوامل الشر والإيذاء .

والقرآن عندما يخاطب المؤمنين بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(١) » يوضح للمجتمع الإسلامى الوضع الصحيح لهدفه ، وهو : عمل من أجل السلام ، واتقاء لسبيل الشر والإيذاء . وعبادات الإسلام ، وفى مقدمتها الصوم ، هى الطريق لتحقيق السلام واتقاء سبيل الشر والإيذاء . وإذ يقول أيضاً فى آية أخرى مخاطباً المؤمنين : «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » يوضح للمجتمع الإسلامى ذات الوضع الصحيح السابق لهدفه ، وهو العمل من أجل السلام واتقاء سبيل الشر والإيذاء . وكذلك العبادات الإسلامية وفى مقدمتها الصوم ، طريق هذا الهدف. لأن القتال فى سبيل الله إقرار للسلام ، واتقاء الاعتداء . ودفع العدوان إن وقع ، اتقاء لسبيل الشر والإيذاء .

والصوم . كما شرحنا — عبادة تهيىء لعدم الاستسلام للشر أياً كان مصدره . ولأنه يمتثل لله ، فهو لا يستسلم لما عدا الله من عوامل الطغيان و الاعتداء، ويمتثل لعوامل الخير والسلام .

---

(١) البقرة : ٢٠٨

المجتمع الصائم

ذو انسجام وارادة . . .

خاطب الله المؤمنين برسالة محمد عليه الصلاة والسلام بقوله :

« يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » فأوجب عليهم الصيام كعبادة من العبادات ، ثم حدد مدته فى قوله تعالى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .. » . وإذن على المؤمنين برسالة الإسلام أن يصوموا شهر رمضان من كل عام . وأوضح الله سبحانه وتعالى سبب هذه الفريضة بقوله : « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » . والمؤمنون إذا أدوا فريضة الصوم أداء خالصاً كان مجتمعهم عندئذ مجتمعاً ذا بعد عن الانحراف ، وذا بعد عن الضعف والوهن .

المجتمع الصائم مجتمع ذو ارادة :

فالمجتمع الصائم مجتمع تبرز فيه الإرادة ، ويبرز فيه التصميم . هو مجتمع له هدف ، وخطة لتحقيق هذا الهدف . أما هدفه فإنه يتحكم فى رغبات النفس عندما تدعو الحاجة إلى التحكم فى الرغبات ، وعندما يفرض الأمر الواقع عليه أن يحد مما تدفع إليه الميول والشهوات . وأما خطته لتحقيق هذا الهدف فإرادته وعزمه وتصميمه .

إن أى مجتمع إنسانى له كيان مستقل قد تمتحنه الأزمات ، وقد تتوالى عليه الأحداث التى قد تضطره إلى أن ينكمش فى أسلوب عيشته . فإن لم تكن له إرادة تدفعه إلى أن يجتاز هذه الأزمات ويخرج من هذه الأحداث ، سيسقط حتماً تحتها . وقد يتلاشى وينصهر فى مجتمع آخر ، بسبب ضيق الأزمات أو قوة الأحداث .

إن أى مجتمع إنسانى لا يعيش دائماً فى حال سلم، ولا يعيش دائماً فى مستوى واحد من الرخاء ، ولا يحيا دائماً حياة رتيبة . إن المجتمع كالإنسان الفردى ، عرضة للتقلب فى مستوى عيشته . فإن لم يكن له من قوة العزيمة والإيمان بوجوده وبخالقه ما ييسر عليه أمر الحياة إذا تأزم أو ضاق به السبيل — وإلا فلا رجاء له فى حياة مديدة ، ولا رجاء له فى نقلته من حال العسر والشدة إلى حال اليسر والسعة .

والمجتمع الذى يؤدى أفراده واجب الصوم ، هو مجتمع قد تدرب على الإمساك والحرمان ، تدرب على احتمال المشقة فى الحياة فهو مجتمع يجتاز الأحداث والأزمات ، يقوى على اجتيازها بما له من دربة فى التحمل والاحتمال .

والمجتمع القوى إذن هو مجتمع ذو بعد عن الانحراف والوهن . وما انحراف المجتمع إلا فى تخاذله ، وما ضعفه إلا فى عدم مواجهته لتقلبات الأحداث .

المجتمع الصائم ذو انسجام :

على أن المجتمع الصائم ، من زاوية أخرى — مجتمع غلب عليه الانسجام : انسجام الطابع العام الذى يميزه عن أى مجتمع آخر ، ليست له ذات العقيدة ولا نفس الإيمان . والانسجام فى الطابع العام للمجتمع هو مظهر من مظاهر القوة له كذلك ، لأنه ينبىء عن الوحدة فى الشعور والروابط والاتجاه . ووحدة الشعور والروابط والاتجاه هى وحدة النفوس . ومجتمع توحدت نفوس أفراده فى إحساسها وعلاقتها واتجاهها : مجتمع غير منحرف ولا ضعيف .

المجتمع الصائم ذو ضمير :

والمجتمع الصائم ليس مجتمعاً ذا إرادة وذا إنسجام فحسب ، بل هو مجتمع له ضمير أيضاً من الخالق يمكنه أن يباشر استقامة الصائم فى صومه من الناس ، يمكنه أن يشرف على إتمام الصائم لصومه حسبما ينبغى ويطلب منه .

ليس هناك مخلوق يستطيع مباشرة استقامة الصائم . إنه ضمير الصائم وحده ، ومن ورائه بعد ذلك : رقابة الله الذى يعلم السر وما يخفى . إن الإنسان فى صومه فى صراع مع نفسه وقد يكون صراعه عنيفاً . ولكن ضميره الذى كونته خشيته من الله العلى القدير هو الذى ينجحه فى هذا الصراع ، وهو الذى يجعل منه رقيباً على نفسه . وهو الذى يدفعه إلى إتمام ما أراده وما بيّت عليه النية قبل ذلك ، وهو أن يصوم فى غده .

والمجتمع صاحب الضمير ليس فى حاجة إلى أن يراقب بعض أفراده بعضه الآخر فى أداء الواجب . وليس فى حاجة إلى المخاصمة والشحناء ثم إلى التقاضى لأنه يفعل بوحى الضمير . وما يوحى به ضميره عندئذ هو ما يخشى فيه الله ، وما يخشى فيه الإنسان الله هو ما يطلبه الله منه : « وأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ »[1] .

إن المجتمع الصائم يتقبل الحرمان إن اضطر إليه . وإن فعل فمن إرادة داخلية ورضاء نفسى . المجتمع الصائم مجتمع قوى فى نفسه بمشيئته وبإيمانه وبضميره . وهو مجتمع لا يساق ، كما لا يزعجه التهديد بفراغ المعدة ، لأنه مجتمع يؤثر أن يعمر قلبه بالإيمان عن أن تمتلىء بطنه مع فراغ نفسه من المشيئة والإيمان والضمير .

---

(١) الأنعام ١٥٣ .

أثر الصوم فى حياة الصائم

جاء الإسلام بعبادتين بدنيتين وهما الصلاة والصوم ، وبعبادة مادية تتصل بالمال ، وهى الزكاة ، وبعبادة أخرى فيها مشقة البدن وبذل المال ، وهى الحج . والإسلام إذ يقرر هذه العبادات البدنية والمادية لا يرغب فى تحميل الإنسان المشقة البدنية والمادية لذات المشقة فى مظهرها الجسمى أو المادى . لا يرغب فى أن يقطع على الإنسان فى بعض حياته راحة البدن ، ومتعة المادة . إنما يقصد بهذا التكليف البدنى أو المادى تصفية الروح وتهذيب النفس : يقصد أن يصل بالصلاة إلى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر ، وأن يصل بالصوم إلى تجنب اللغو فى القول والباطل من العمل ، وأن يصل بالزكاة إلى تقوية الشعور بالإخوة وتقوية القربى والجوار والوطن ، وأن يصل بالحج إلى تذاكر المؤمنين بأول بقعة نشأت فيها دعوة الإسلام وبآخر مكان جاء فيه نصر الله والفتح ، حتى يجددوا فى قلوبهم ونفوسهم العهد بالإخوة الصادقة فى سبيل رسالة كريمة لأنفسهم والإنسانية .

ورمضان عندما يعود بعد قرون من قيام الإسلام ، وتعود معه تكاليف الإسلام الخاصة به : تعود معه فريضة الصوم ، ويعود معه الحث على ما يرجى من صيامه ، وما ينتظره رسول الدعوة الإسلامية ﷺ من الصائم .

يقول ﷺ ، فيما يرويه عنه أبو هريرة رضوان الله عليه : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه** » .

ويقصد صلوات الله عليه : أن الصيام ليس إمساكاً عن الأكل والشرب لغاية هى هذا الإمساك فى الفترة المعروفة . بل يجب أن يكون وسيلة قوية لهدف رتبه الله على الصوم ، وهو ضبط الإنسان نفسه عن أن يقول الزور والبهتان ، وعن أن يقول الكذب إن تحدث أو وصف ، أو يقوله إن توسط بين فرد وآخر

فى رسالة بينهما ، أو يقوله إن حكى عن غيره أو أدلى بشهادة قصد بها صالح صديق أو من له به علاقة . يجب أن يوصل الصوم وهو تلك الدربة والرياضة على حرمان النفس من شهوتها حرماناً لا خيار فيه — إلى تعويد هذه النفس التى أمسكت عن الأكل والشرب : عادة الإمساك عما يفسد من قول أو عمل ، وعما يضرها ويضر غيرها . فقول الزور لا يدعو فحسب إلى وضع قائله وضعاً أدبياً غير مقبول فى جماعته التى يعيش فيها ، بل يتعدى ذلك إلى أن تفقد هذه الجماعة الثقة فيه ، وإلى أن تأخذ حذرها منه ، بعد أن تنظر إليه نظرة استخفاف ومهانة . وعمل الباطل أشد ضرراً بمن يأتيه ، سواء على منزلته الأدبية أو علاقته المتبادلة بينه وبين غيره .

والرسول الكريم إذ يشير إلى أن من لم يترك الكذب ، ويترك العمل المفسد نتيجة لصومه فليست هناك حاجة لله فى أن يترك هذا الصائم الطعام والشراب — يقصد صلوات الله وسلامه عليه إلى أن يوضح : أن صوم الصائم عندئذ لم يكن ذا أثر إيجابى فى حياة الصائم ، ولم تترتب عليه آثاره المرجوة ، وأن القيام به بهذا الوضع يتساوى مع عدم القيام به فى النتيجة ، وأن الصائم لهذا كأنه لم يقم بما كلف به من صوم .

الاسلام لا يعنى بالشكل

والإسلام لا يعنى بالشكل فيما يكلف به أتباعه ، ولا يرمى إلى أداء عبادة فى شكل رسوم أو فى صورة عادة فقط . الإسلام يريد توجيهاً للروح .. يريد استقامة للنفس .. يريد صلاحاً وتهذيباً للفرد .. يريد جماعة غير مفسدة ولا عابثة . ولا يتفق أداء صلاة يتوجه فيها الإنسان إلى ربه مع اتيان الفواحش وقيامه بالمنكر والمفسد . وكذلك لا ينسجم أداء صوم مع عبث فى القول وباطل فى العمل .

عبادة الإسلام طريق لحياة إنسانية كريمة . وليست مجالا لمظهر خارجى .

إنه تناقض أن يصوم الإنسان عن الأكل والشرب ، ثم لا يمسك لسانه ،

ولا يمسك خواطره ، ولا يمسك دخيلة نفسه عن الإيذاء بالسعى والفرقة بين الناس بالكذب ، والإضرار بهم فيما يأتى به من فعل كريه مبغوض .

ولم يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام هنا إلى الإيحاء بطلب صون اللسان وصون النفس التى تصوم عن الإيذاء والإضرار طول فترة الصوم فقط ، وفى شهر رمضان على الخصوص . لا . إن الرسول الكريم يرمى إلى تحصيل هذه الصفة ، وهى صون اللسان وصون النفس عن الإيذاء والاتصاف بها كشىء لا يفارق المسلم . ولكن ربطها هنا بالصوم ، وبالصوم فى رمضان — لأن الصوم وسيلة رئيسية فى تحصيلها واكتسابها ، ولأن صوم رمضان — لطول مدته وتتابع فتراته : يجب أن يكون كفيلا بالمساعدة على تحصيل هذه الحال المرجوة فى صفة الحالة الدائمة ، لا فى صفة الأمر المؤقت .

وفضلا عن ذلك : زمان رمضان ، لأنه أنزل فيه القرآن ، يجب أن يتضاعف أثره فى نفس المسلم التابع لهذا الكتاب ، والذى ميز نفسه بين البشر جميعاً بهذه التبعية .

فالتكاليف وسائل لتهذيب النفس الإنسانية . فمن لم يتهذب بهذه التكاليف فأداها شكلا ، دون أن تحمل نفسه منها استقامة وصفاء ، فشأنه شأن من لم يقم بها فى عدم الانتفاع بتلك الهداية القدسية الإلهية .

شبهات حول الصيام

بعض الناس ، أو كثير من الناس يرى أن رمضان وما يصحبه من فرض صومه على المسلمين إن هو إلا صورة الرجعية التى لا تلائم عصر التطور الذى نعيش فيه .

ألأن صومه يدفع النفس على احتمال بعض الصعاب والمشاق ، وهى تلك الصعاب والمشاق التى تلازم التخلف عن اتباع العادة فى وجبات الأكل ومرات الشرب ، والإمساك عما يؤكل ويشرب بياض نهار فى اليوم كله ؟ أتمرين الإنسان على ما فى الحياة من ألوان ، هو عرضة ، لأن تمر عليه فى أنواعها المتناقضة ، يكون رجعية ؟ إذا تعود الإنسان على الحد من رغباته والسيطرة على أنانيته يكون رجعياً وليس تقدمياً ؟ .

ثم متى يكون الإنسان عضوا صالحاً فى مجتمع صالح ؟ أليس لأنه يستطيع أن يحد من رغباته ليفسح مكاناً لحياة غيره معه ؟

وبم نسمى الانطلاق فى الاستجابة لرغبات النفس ؟ أنسميه تقدماً وهو طابع الحيوان والطفل والإنسان البدائى ؟ إذا اتخذ كل فرد فى المجتمع الانطلاق إلى مايريد ويشتهى : قاعدة لسلوكه ، أيكون هناك عندئذ مجتمع قائم بالمعنى الواقعى للمجتمع ؟ وليس وجود المجتمع بمعناه الواقعى إلا قبول أفراده للحدود التى يفرضها دستوره وقانونه ، وهى تلك الحدود التى تتمثل فى الحقوق والواجبات .

وبعض الناس أو كثير من الناس يرى أن صوم رمضان عائق عن الإنتاج فى كمه ونوعه ، ولذلك لا يتفق مع ما تطلبه الحضارة المعاصرة ، لأن قوامها الإنتاج ! أليس من وراء صوم رمضان الخشية من الله ؟ أو ليست الخشية من الله

مصدر تكوين الضمير لدى الفرد ؟ وأليس دفع الضمير للفرد أقوى وأبقى من دفع القانون الوضعى إياه والسلطة التى تشرف على تنفيذه ؟

إن صوم رمضان إذا عاق — افتراضاً — عن الإنتاج فى كمه ونوعه فى شهره ، ألم يكن الضمير الذى تكون عند الفرد بسببه كفيلا بالتعويض فى الإنتاج سواء فى الكم أو النوع على طول العام كله ؟

وأليس الضمير لدى الفرد هو مصدر الحضارة الإنسانية ؟ فليست هذه الحضارة إلا الاعتراف بالقيم الإنسانية والمحافظة عليها فى السلوك الشخصى وفى العلاقات بين الأفراد ؟

إن كم الإنتاج المادى هو مظهر الحضارة المادية الصناعية . وليس هذا النوع من الحضارة هو الذى يسعد الأفراد ويقر السلام فى علاقات بعضهم بعضاً ، بل ربما كان مصدر تخريب هذه العلاقات ، ومصدر الخصومات ، وقد يكون مصدر إفناء البشرية كلها ، إذا لم تكن بجانبه حضارة إنسانية ، وهى التى تتمثل فى القيم العليا من العدل والتعاون والمحبة والأخوة .

ولم تكن الحضارة المادية الصناعية يوماً ما هى مصدر الضمير ، ومصدر السلوك الأخلاقى . ولم تكن بالتالى هى المعبرة عن خصائص الإنسان التى تصور مستواه الرفيع فى الإنسانية .

وبعض الناس أو كثير من الناس يرى أن وجوب صيام رمضان يقسم المجتمع إلى طائفتين : إحداهما تقوم بأداء فريضة صومه ، والأخرى تستخف بأداء هذا الواجب وتعلن هذا الاستخفاف فى غير صورة ، وفى كثير من الأحيان فى صورة من التحدى لهذه الفريضة . وليس من صالح أى مجتمع أن ينقسم على نفسه ، فضلا عن أن تتحدى طائفة منه طائفة أخرى تعيش معها .

ولكن من الذى لايرى أن أداء الواجب أى واجب فى المجتمع لايختلف موقف الأفراد منه بين راغب فى أدائه وبين مؤد له فى ثقل أو فى خوف ؟. ولولا السلطة القائمة على تنفيذ القانون فى المجتمع لبدا التحدى سافراً لكثير مما يوجب القانون فعله على جميع الأفراد الذين يعيشون فى المجتمع .

ثم من الذى يرى إلغاء الواجبات التى يفرضها المجتمع على نفسه بحكم دينه ومعتقده ، أو بحكم القانون القائم فيه ، حتى لايقع انقسام فى الرغبات بين الأفراد ؟

طالما كانت الفرائض والواجبات تستهدف صالح الأفراد فى تكوينهم وفى سيرهم نحو هدفهم فى المجتمع ، فإنها فرائض وواجبات لاتقبل الاعتراض فى التنفيذ ، ولا تقف فى طريق أدائها رغبة تسيطر على المدللين والكارهين لقبول بعض القيود على تصرفهم وسلوكهم .

إن القديم والجديد لايلعب دوراً فى القيمة الذاتية التى يحملها الواجب المفروض . وإن الرجعية والتقدمية لايدخلها فى الحكم على مايجب أن يعمل أو مايجب أن يترك ، إلا ذلك الذى يريد أن يبرر موقفه فى تصرف من التصرفات يخالف عرف المجتمع الذى يعيش فيه ، ولايستطيع بحكم تحكم رغبة خاصة فى نفسه أن يتفادى هذا التصرف .

إن القديم أو الجديد إذا استسيغ فى حمل المرأة على أن تجاوز مايفرض عليها من زى معين فى وقت معين مسايرة لطبيعتها فى لفت نظر الرجل إليها ، فإنه إذا أطلقت خلة القديم أو الجديد على المبادىء العامة التى تقوم عليها إنسانية الإنسان فإنها لاتغير من واقع هذه المبادىء ولا من قيمتها .

والصوم عبادة من العبادات أو صورة من صور الواجب الذى لا يتخلف عن هدفه بمضى الأفراد أو باختلاف الجيل .

ولكنها الرغبات والأهواء هى التى تكوّن هـذه المدى . ة يحمل الناس على الاستخفاف بها أو الإقبال عليها .

والإنسان بهواه قد يغير مجرى التوجيه فى المجتمع ، ولكنه لايستطيع بحال أن ينال من المبادىء والقيم التى تميز الإنسان ، والتى تجعل لمجتمعه طابع المجتمع الإنسانى صاحب المستوى الفاضل .

إن مايحبه الإنسان أو يكرهه شىء آخر وراء مايجب عليه أن يفعله . والخلط بين ما يحب أو يكره من جانب ، وبين ما يجب فعله من جانب آخر : سنة الإنسان الذى لايفصل بين القيم الذاتية ، والذى هو فى دور الانتقال من مرحلة البدائية إلى مرحلة الرشد فى الإنسانية .

وما يجب أن يفعل أمر يقر به الرشيد ، ويلزم نفسه بأدائه ، وله متعة فى أدائه ، لأنه استطاع عندئذ أن يكون ذا سيادة على تصرفات نفسه .

ماذا بعد رمضان ؟

اطمئنان الصائم وخداع الفطر :

عندما يقترب رمضان شيئاً فشيئاً من نهايته ، فالمسلمون فيه واحد من اثنين : واحد قام بما كلف به من فريضة الصوم فيه فهو فرح باقتراب هذه النهاية . وواقع الأمر هو فرح باقتراب إعلان نصره ، وبنفاذ مشيئته ، وبنجاحه فى اختبار إيمانه وإرادته . وآخر تقاعد عن أداء هذه الفريضة ، ولكنه مع ذلك يعلن عن نفسه ، كأنه صاحب مشيئة وإيمان ، فيظهر عدم الاكتراث بالصوم والصائمين . وحقيقة الأمر أنه فى ذلك لا يعبر عن مشيئة وإرادة له ، وإنما يحاول إخفاء إحساسه الداخلى بالضعف والهزيمة . وهكذا كل إنسان به ضعف أو نقص يأتى بعكس مظهر الضعف والنقص ، ويبالغ فى ذلك محاولا أن يغطى ضعفه ونقصه فى الحياة . وهذه المبالغة نفسها هى التى تكشف عن ضعفه الحقيقى ونقصه الحقيقى .

إن الذى يفطر جهاراً فى رمضان ، والذى يستخف فى حديثه بغيره لأنه يصوم ، والذى يتندر بفريضة الصوم ، وبتشريع الصيام ، والذى يصفه مرة بالرجعية ، وأخرى بعدم ملاءمته لعصر الحضارة والذرة — هذا الذى يفعل ذلك — يأتى به ، لا تعبيراً عن عقيدة أو رأى صحيح ، ولكن تعبيراً عن خجل ، وتغطية لفشله فى أن يحزم أمره ، ويملك زمام نفسه ، شأن الإنسان المكتمل فى انسانيته . وكلما أمعن فى الاستخفاف بفريضة الصوم ، كلما كان شعوره النفسى الداخلى أقرب إلى شعور القلق الذى ارتكب أمراً منافياً لآداب الجماعة ، ولخصائص الإنسانية ، وهو يحرص مع ذلك على أن يبقى من أفراد الجماعة وعلى أن تكون له خصائص الإنسانية ، وهى خصائص من له إيمان ومشيئة . هذا إنسان لم يعرف قيمة نفسه ، وإنه الخزى ، أو عدم الاستحياء ، هو الذى يدفعه إلى هذا الوقف الكريه .

اثر الصوم فى حياة المسلم :

ولكن : ليس كل من صام قد أدى واجب الصوم . إن الذى يؤدى فريضة الصيام حقيقة هو الذى تهيأت نفسه لاستقبال حياة ما بعد رمضان ، بنفس الروح التى عاش بها أثناء صوم هذا الشهر المبارك . هو الذى يستقبل حياة ما بعد رمضان ، وما يقع فيها من أحداث بروح صاحب العزم ، وصاحب الأمل فى أن يتغلب على أحداثها وصعابها ، بروح ذلك الذى لا ييأس من توالى العقبات فى حياته وحياة أمته . يروى أبو هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه يقول : « **رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر** » . وإذن ليس له أثر الصوم وفائدته ، وإذن لم يتجاوز صومه فمه وبطنه إلى إعداد نفسه وقلبه . والصائم الذى ليس له من صيامه إلا الجوع هو ذلك الذى فهم الصوم : أنه إمساك عن الأكل والشرب فقط . ولذلك سيستقبل حياة ما بعد رمضان على أنها حياة الأكل والشرب فحسب . فإن واجهته شدة ، أو أصيب بمكروه ، أظلمت الدنيا فى عينيه ، وعلى وجهه أمارات السخط والتبرم ، وربما أمارات اليأس والتسليم . لأنه لم يشعر فى رمضان بإعداد الصوم له لمواجهة مثل هذا المكروه بروح القوى فى مشيئته ، والمثابر الصابر فى تغلبه على صعاب حياته . ويومئذ يكون شأنه شأن من سهر الليل وتهجد فيه ، وأطال يقظته يتعبد الله ، دون أن يلحق نفسه أثر عبادته فيه ، من : الصفاء ، والاطمئنان ، والبعد عن الدنيا والمحرمات ، والقوة فى سلوك طريق الله ، وهو طريق الحق ، طريق الأمة والجماعة .

إن سلوك الإنسان فى حياة ما بعد رمضان ، لدليل على قيمة صومه فيه ، إن كان للأكل والشرب ، أو للإعداد والتهيئة لظروف الحياة المختلفة . والصوم الصحيح هو صوم الإعداد والتهيئة . ولذلك تنصح السنة بصوم ثلاثة أيام من كل

شهر ، حتى يكون الإنسان دائماً على أهبة عملية لاستقبال أحداث الحياة فى كل وقت ، بنفس المطمئن المؤمل ، غير اليائس المستسلم عند مفاجأة الأحداث له .

عن عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه يقول : « **صوم ثلاثة من كل شهر ورمضان الى رمضان ، صوم الدهر كله** » . أى إذا صام الإنسان رمضان من كل عام ، وأضاف إلى صومه ثلاثة أيام من كل شهر كان فى انتفاعه بالصوم فى حياته بمنزلة من يصوم الدهر كله ، أى لازمته روح الصائم فى الحياة ، وهى روح القوى بإيمانه ، الذى يواجه الأحداث فى شجاعة ، والذى مرن على أن يعطى من نفسه ، وأن يحكم نفسه فيحرمها مما تهوى ، ليتغلب على ما يذله ويستعبده .

إن حياة الإنسان حلقات متواصلة . فما يؤدى اليوم من خير يجب أن يكون مقدمة تستتبع خيراً آخر . وما يقع من تجربة نافعة يجب أن يستمر أثرها إلى ما بعدها . وحياة ما بعد رمضان يجب أن تكون متصلة بآثار هذا الشهر المبارك .

شهر الحج

عندما يأتى شهر ذى الحجة — يحمل معه ذكريات : بعضها يتعلق بتاريخ البشرية فى صلتها بهداية الله إياها . فهو يذكر بأول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين : «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ، مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا(١)» .. يذكر بموطن الرسالة الأولى للبشرية من قبل الله جل شأنه . وهى رسالة الهدى وتوضيح السبيل للحق . تلك الرسالة التى جاء بها سيدنا إبراهيم عليه السلام تعرض الدعوة إلى التوحيد فى عبادة الله وعدم الشرك به ، وحملها من بعده جميع رسل الله فى الأرض ثم أكدتها رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ(٢)» .. «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٣)» .

وبعض هذه الذكريات يتصل بالحج والنداء إليه كعبادة فرضها الله على القادر عليه . وهو الحج إلى هذا البيت المبارك : «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً(٤)» .. «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٥)» .. أى يأتوك من قريب ومن بعيد .

وفرضه الله إحياء لذكرى هذا البيت وتمجيداً لشأنه فى الرسالة الإلهية . فمن هذا البيت ظهرت أول دعوة قدسية إلى التوحيد ، ومن هذا البيت انتهت آخر

---

(١) آل عمران ٩٦ ، ٩٧ . (٢) الأنبياء ٢٥ .
(٣) النحل ١٢٠ — ١٢٣ . (٤) آل عمران ٩٧ (٥) الحج ٢٧ .

رسالة سماوية تدعو إلى التوحيد وتؤكده . ولذا كانت شعائر الحج فى الإسلام صورة صادقة لهذه الذكرى التى تحكى ما وقع فى عهد ابراهيم وابنه إسماعيل من بعده عليهما السلام: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ[1] » .

الحج تعبير عن وحدة المجتمع :

ودعوة التوحيد التى حملتها الرسالات السماوية المتتابعة من عهد إبراهيم إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام إن تجهت مباشرة إلى عدم إشراك غير الله مع الله فى عبادته — فهى تتجه اتجاهاً غير مباشر إلى تقريب النفوس البشرية بعضها من بعض وتوكيد أواصر الأخوة بينها ، ودفع أسباب الفرقة والخصومة فى علاقتها ، حتى يبدو مجتمع الإنسانية مجتمعاً واحداً ، وحتى تبدو النفوس البشرية كأنها نفس واحدة فى تعاونها وترابطها .

ومن هنا كانت فريضة الحج فى الإسلام هى تلك الفريضة التى يعبر مظهرها الخارجى تعبيراً قوياً عن هذا الاتجاه . إذ لا أدل على قوة هذا التعبير من اجتماع حجاج بيت الله الحرام فى صعيد واحد هو صعيد البيت الحرام ، وفى وقت واحد هو وقت الوقوف بعرفات ، وعلى نداء واحد هو : « لبيك اللهم لبيك » .. أى استجابة لك وطواعية لندائك قدمنا إلى هذا المكان ، ووقفنا فى هذا الوقت لنتجه إليك بقلوب واعية يلتقى بعضها مع بعض ، كما تلتقى أجسامنا ويلتصق بعضها ببعض ، ولنعاهدك على أن نحرص على هذا الوضع بيننا ماحيينا .

لا أدل على قوة هذا التعبير من طواف الحجاج حول الكعبة فى صورة تنمحى فيها فوارق الأبعاد والاتجاهات : ليس فيها شرق وغرب ولا شمال وجنوب

---

(١) الحج ٣٢ ، ٣٣ .

كما تنمحى فى لقاء بعضهم ببعض هنـاك : فوارق الجنس والقبيلة .. فوارق اللون والشكل ، وفوارق الوطن والإقامة .

شهر الحج بما فيه من الذكريات الخالدة التى تعود على البشرية بالخير ، ويتحقق لها أهم غاياتها من التعاون والترابط — كان الشهر الذى يحتفل فيه بعيد الأضحى . وهو العيد الذى يقع عقب الانتهاء من أداء شعائر الحج ومناسكه . والاحتفال بهذا العيد هو فى واقع الأمر احتفال بهذا اللقـاء الذى ابتعدت عنه مظاهر المفارقات المختلفة واقتربت فيه القلوب بعضها من بعض . هو احتفال بالوحدة والتوحيد معاً .

إن شهر الحج من كل عام هو شهر البعث لعقيدة هى عقيـدة التوحيد ، وشهر إيقاظ الوعى لقوة الروح والإيمان ، وشهر الاحتفال بعهد هو عهد الإخاء والفداء .

شهر الحج أكثر من زمن ووقت محـدد كجزء من أجزاء السنة . هو شهر يربط إنسان الأرض بالسماء ، ويدفعه إلى السعى نحو المكان الذى اتصلت فيـه القوة الإلهية بالبشرية لأول مرة : ليجدد الصلة بينه وبين الله حتى يقوى مابينه وبين أخيه الإنسان .

ولذا كان هذا المكان مباركاً وهدى للعالمين جميعاً ، وسيظل مباركاً وهدى للعالمين ، وفى كل وقت وكل جيل : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ الَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ[1] » .

---

(١) آل عمران ٩٦ .

الحج وحدة فى المشاعر والآمال

وحدة المشاعر والآمال فى الحج : هدف من أهداف هـذه الفريضة التى نظمها الإسلام وجعلها عبادة مقررة فى حياة المسلمين .

إن مشاعر الحج هى مواضع مناسكه ومظاهر عبادته ، وأخصها البيت الحرام بمكة ، وجبل عرفات بالقرب منهـا . ومن البيت الحرام إلى عرفات ذهاباً وإياباً تؤدى مناسك الحج ، وهى الطواف حول الكعبة ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة إلى غروب شمس اليوم التاسع من ذى الحجة ، والنزول منه إلى المشعر الحرام — هو جبل المزدلفة بين عرفة ومنى — ورمى الجمار . وبهذا الرمى يبدأ الحاج فى التحلل من الإحرام الذى دخل بنيته فى هـذه العبادة الرئيسية بين عبادات الإسلام . والأمكنة التى يرتادها الحاج فى أداء فريضة الحج واحدة ، ومظاهر العبادة التى تؤدى فى هذه الأمكنة واحدة ، والشعار الذى يميز الحجـاج عن غيرهم من بقية المسلمين ، وهو شعار الإحرام واحد ، والنداء الذى ينادى به الحاج ربه أثنـاء أدائه فريضة الحج واحد ، وهو : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » . وغاية هذا النداء هو الإقرار بالوحدة فى العبودية .

الحج يؤكد التآخى بين المسلمين :

والحج بهذا عبادة قصد بها الإسلام تأكيد الأخوة بين المسلمين : فى وحدة القلوب ، ووحدة الدعاء ، ووحدة المظهر . والحج بهذا عبادة تنصهر فيها الفوارق بين أجناس المسلمين وقبائلهم ، ومواطنهم ، ولغاتهم ، وألوانهم ، وثقافتهم ، ومنازلهم الاجتماعية ، لايتميز أحدهم عن الآخر بأنه انحدر من الجنوب ، والآخر انحدر من

الشمال ، أو هذا آتى من الشرق ، وذاك من الغرب . والطواف حول الكعبة — وهو ركن من أركان الحج — رمز هذا الانصهار . والوقوف بعرفة بعده فى وقت واحد يتساند فيه الكتف مع الكتف ، ويشترك فيه الفم مع الفم فى النطق بالطواعية والامتثال إلى الله : لبيك اللهم لبيك — مظهر آخر من مظاهر انصهار الفوارق الشخصية بين المسلمين .

إن مشاعر الحج تعرف المسلم بأخيه المسلم ، وتشرك المسلم مع المسلم فى التجاوب لدعوة الله ، وهى دعوة الإخاء والتعاون ، ودعوة المسلم لمن يسالم المسلمين ، ودعوة رد الاعتداء لمن يعتدى على المسلمين .

إن مشاعر الحج مواضع لقيا وتقريب : لقيا على نداء الحق ، وتقريب لما بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

والإسلام إذ يحرص بتلك المشاعر التى حددها لمباشرة الحاج عبادة الحج وأداء فريضته ، على أن يوقظ بها وحى الوحدة والالتقاء بين المسلمين : يحرص أيضاً على أن لا يكون أثرها وحياً مؤقتاً بشعور إخاء والتقاء مؤقت . ولذلك طلب منهم أن يستصحبوا أثر هذه المشاعر والمناسك أثناء الحج فى نفوسهم ، بعد الانتهاء منها ويبقوا عليها ويرعوها حق رعايتها أيضاً بعد الفراغ من هذه العبادة كلية . ويقول القرآن الكريم مخاطباً حجاج بيت الله : « فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا[1] » .. أى لا تشغلوا نفوسكم بما كنتم تشغلونها به من قبل حسب عادتكم . وقد كان العرب قبل الإسلام إذا فرغوا من مظاهر الحج على نحو ما ألفوا فيه أيام الجاهلية عادوا فى الحديث عن مناقبهم ومفاخرهم ، وكانت كل قبيلة تذكر مآثرها من أمجاد وتكثر من عرضها والإلحاح فى هذا العرض . وكان ذلك من أسباب بقاء عنصر القبلية متحكماً فى الفرقة بين العرب ، وفى النزاع والخصومة

(١) البقرة ٢٠٠ .

فيهم . فلما جاء الإسلام طلب من المسلمين أن يكون حديثهم بعد قضاء مناسك الحج هو الحديث عن الله ، وأن يكون حبهم على ذكره أشد من حبهم على ذكر آبائهم فى المفاخرة على نحو ما كان يفعل العرب فى الجاهلية ، ووضع بذلك : الله فى حياة المسلمين..مكان الآباء والأنساب فى حياة الجاهلين . وقصد بذلك أن تبقى كلمة المسلمين موحدة ، وهى ذكر الله ، وأن تكون قلوبهم مجتمعة دوماً على الإيمان بواحد وهو الله ، وأن يكون هدفهم فى الحياة شيئاً واحداً وهو نصرة الله .

وإذن : آمال المسلمين ليست موزعة وإنما هى واحدة ، كما أن مشاعر الحج ليست مختلفة متباينة .

والحج بذلك عبادة وحدت المشاعر والآمال . وهدف الحاج أثناء أدائه فريضة الحج ، هو هدفه لم يتغير بعد أن يؤديها ، هو : تذكر المثل الأعلى فى الحياة والعمل على التقرب من هذا المثل . هو ذكر الله والعمل على أداء ما فرضه عليه . وما فرضه من عمل واجب . وترك محرم ، فرضه لإيجاد الإخاء ، وتحقيق التعاون وصيانة السلم ودفع الاعتداء .

الحج عبادة . وكل مظهر فيها يبعث على الوحدة والتجانس . ثم أداؤها دافع قوى على بقاء الوحدة والتجانس بين المسلمين الذين تميزوا بعبادة المعبود الواحد .

هذا شأن المسلمين ، وهذه منزلة فريضة الحج فى حياتهم . وهل لنا — نحن مسلمى اليوم — أن نتوحد فنذكر الله فى حياتنا ، بدل أن نذكر آباءنا وما فرقنا به الأجنبى الدخيل علينا ؟ وهل لنا أن نفيد من مبادىء الإسلام فى جماعتنا ونتميز به وحده من غيرنا جميعاً ، قبل أن يتميز بعضنا عن بعض بما طالبنا الإسلام بالقضاء عليه وهو التبعية لوحى العصبية والفرقة الشخصية ؟ .

إن الله فى حياتنا هو المبدأ وليس الشخص ، هو رسالة القيم وليس اتباع الهوى .